من ملحمة قلقامش

من هو ؟

هو الذي رأى.. (*) رأى الاشياء أجمعا
حتى الاقاصي
هو الذي رأى ..
واختبر الاشياء اجمعا
واعتصر العبرة منها .. كلها
هو الحكيم ، عارف الاشياء .. كلها
أوغل في الاسرار
فأبصر الخفايا
وابتعث الخبايا
وجاء بالاخبار
ينبيء عن مآثر الزمان
من قبل عهد ذلك الطوفان
أبعد في الاسفار
طوّف في الافاق حتى هده النصب
وشفه الضنى
وشارف العطب
وعى الذي لم يعه انسان
ثم انثنى
ينقش في نصب من الحجر
جميع ما عانى وما خبر
هو الذي رأى ..
قلقامش الجبار

اوروك :

شيد اسوار أروك العاليه
بنى (اينا) حرما مقدسا
وأنشأ المستودع المطهرا
ما زال يفتن العقول منظرا
روعته منذ القديم باقيه
.. تأمل البنيان، وانظر سوره البراني
تجد كأن كل شرفة نحاس يلمع
لا شابه نقص ولا بدا به تصدع
ثم تأمل سوره الجواني
لا شيء مثله
لا شيء مثله
.. واستلم الاسكفة الحجر
اسكفة قديمه
من حقبة يجهلها البشر
يتيمه
من موطن ليس له اثر
.. هي اذن من (اينا)
منزل عشتار
منزل آنو مع عشتار
الهة الآلاء والاسرار
ليس يدانيه صنيع من مليك كان
او سيكون من افاعيل بني الانسان
رؤيته متعه
كأنه من حسنه خدعه
.. اصعد على الاسوار وامش فوقها
تفحص الاساس في القواعد
وامتحن الآجر في الاسطح والمصاعد
ألم تشيد كلها باللبن المفخور
لقد بنى اساسها معلمو الدهور
الحكماء السبعة !..

قلقامش :

لما اتم الخالق الرحمن
خلقة قلقامش نجل الانسان
حباه بالحسن سخيا شمش الكريم
الرب ، رب العدل والشرائع
حسن الرجوله
ثم حباه (أدد) العظيم
رب الحيا والرعد والزعازع
.. حباه بالبطوله
والعز والمسره
وخصه الآلهة العظام بالروائع
اصبح طوله من الاذرع واحدا وعشره
وعرض صدره غدا تسعة أشبار
هيكله فذ بلا ثان
اعجوبة الانظار
ثلثاه رب ، ثلثه انسان
اما سلاحه فلا شيء يصد فتكته
كأنه قارعة القضاء مصلته

جبروت :

يا للرعية ..
كم ايقظتهم ضجة للطبل يقرع
ابطال اوروك انزووا في دورهم
كيف تجرعوا
كاس الدنيه ؟
قالوا : الى كم نخضع ؟
قامش لم يترك لدينا ولدا لوالد
ما كف عن بغي على رعيته
ليلا ولا نهارا
هل هو قلقامش والينا الحكيم العادل؟
البطل الجميل ؟
هذا الذي جارا ؟
راعي اروك ، سورها الحصين ؟
حارسنا الامين ؟
ما عف عن عذراء في الحمى لخدنها
ولا ابنة الجندي صان او خطيبة البطل
الام صبرنا ، وما العمل ؟

ظلامة :

استمع الارباب شكواهم اخيرا
آلهة السماء كلهم دعوا (آنو)
اله اوروك الكبيرا
قالوا : ألست خالق الوحش العتي ؟
ألست يا آنو ؟
سلاحه الجبار لا شيء يصد فتكه
الجبارا
لقد بغى ما شاء في الرعيه
بغى وجارا
توقظهم قعقعة الطبل على البليه
لم يترك ابنا فيهم لوالد شقي
لم يسترح طغيانه ليلا ولا نهارا
راعيهمو ، لكنه سامهم الدنيه
هذا القوي والجميل والحكيم قد بغى
ولم يدع عذراء فيهم لحبيبها الوسيم
ولا ابنة الجندي صان او خطيبة
البطل
الام صبرهم ، وما العمل ؟
انظر الى قامش انه طغى

انكيدو :

اصغى الى الظلامة الرب الجليل آنو
وقال : هذا بطل مغرور
فالتفت الارباب صوب الربة الخالقة
العظيمه
قالوا لها : أرورو
انت التي خلقت هذا الانسان
بامر انليل الكبير الشان
رب الهواء والثرى
فالآن فاحلقي له قرينا
يشبهه في قوة الجسم وشدة
العزيمه

(*) اطلق البابليون « هو الذي رأى .. » عنوانا لملحمة قلقامش باعتباره مطلعها مثل اطلاق العرب « قفا نبك .. » عنوانا لمعلقة امرىء القيس . وقد اعتدنا في الرواية اساسيا على ترجمة طه باقر بالعربية ، وترجمة ساندرز (N. K. Sanders) بالانكليزية ـ كمادة اولية .

وجراة الجنـــان
جميعـا
لكي يكونا في صراع دائـم
تنال اوروك به السلام والسكينه
وتهـدأ المدينـه
.. وعندما كانت اورورو مصغيه
تصورت في قلبها (آنو) له مثالا
فغمست يديهـا
في الماء وهي مقعيـه
واقتطعت قبضة طين لازب
وألقت الطينة في البريـه
ونظرت باسمة اليهـا
فكـان انكيدو
البطل الصنديد
نجل (ننورتا) الرب ، رب الحرب
مكتمل القوى ، شديد الجراة
الشعر يكسو جلده ، كالدب
وفره رأسه كشعر المراة
لـه جدائل
مضفورة طوال
تنوس كالحبـال
كأنها شعر (نصابا) ربة الغلال
نصـابا !..
كان على الفطرة يجري حيثما تجري
لا يعرف الانس ولا الامصار
لم يدر ما يدري
جذلان كالاطيـار
لباسه مثل (سموقان)
رب المواشي
كأنه سموقـان !
مع الظباء ياكل الاعشابا
ويشرب الماء مع الوحش من الغدران
يبهج قلبه ضجيج السائمه
حين تجيء الورد هـائمه

الصيـاد :

.. وكان ان صادفه صياد
يسير في تلك الفلاة باحثا يرتاد
صادفه وجها لوجه عند ماء المورد
ابصره الصياد فارتعب
وامتقعت سحنته لساعته
ابصره يوما ، ويوما ، ثم يوما ثالثا
عند ورود الماء ، قرب القصب
لما اتى الصياد باحثا
عن صيده كعادته
اقبل انكيدو مع الحيوان من خلانه
واقتحموا مواطن الصيد تباعا
قابله وجها لوجه فارتخت ساقاه في مكـانه
وارتجف المرء وشلت يـداه
تداركت دقات قلبه ارتياعا
واصفر لونه وقال : آه
اصبح وجهه كوجه مرهق من سفر بعيـد
واب مشدوهـا الى ابيه
وفتح الصياد فـاه وقال ،
مخاطبـا أبـاه :
أبي ، رأيت خلقـة عجيبه
كأنها انسـان
كأنهـا حيوان
جـاء من البراري
جـاء من الروابي
اقوى امرىء في الدنيـا
ذو هيأة رهيبه
مستأسد في مثل عزم آنو
يجوب في السهوب والتلال
وياكل النبـات
ويرتعي العشب مع السوائم البريه
ويشرب الماء واياها من الموارد
خشيته يا ابتا ، خشيته
لم اجترىء على الدنو منه
ادهشني مرآه
فارتجفت يدي وقلت : آه
وجدته قد ردم الحفائر
كل الذي احتفرت من حفـائر
وقطع الحبائل
كل الذي نصبت من حبائل
واطلقت يداه ما قنصت من حيوان
ففر صيدي من يدي
حرمت صيد البـر
فيـا لخسري ..

البغي المنقذة

ففتح الوالد فاه قائلا للصياد :
يا ولدي ، يا ولدي
يعيش في أوروك قلقاش الجبار
ما مثله في البأس والقوة حيوان
ما مثله في البأس والقوة انسان
كأنه في عزمه آنو
ضخم البناء وافر الاجلاد
فاذهب الى اوروك ذات الاسوار
واحك لقلقامش عن قوة هذا الهوله
وقل له يبعث بمومس معك
من معبد الحب ، لتتبعك
فانها تروضه وتغلبه
وعندما يأتي ليورد السوام
فلتخلع البغي ثوبها
فذاك يخلبه
تكشف جسمها عن المفاتن العظام
فان رآها مال من ساعته اليها
لانهـا ستجذبه
وتغلبـه
عندئذ تنكره صحابه من حيوان البر
فأدرك الصياد مـا علمه ابوه
وسار مسرعا الى قلقامش الجبار
وجد في السير الى ان صـار في اروك ذات الاسوار
وقام في حضرة قلقامش يحكي لـه
يقول ما علمه ابوه فوه :
يوجد انسان عجيب الخلقه
اتى من الروابي
اقوى امرىء في هذه الشعاب
وبأسه شديد
مستأسد في مثل عزم آنو
يجوب في السهوب لا يأكـل غيـر النـابت
ويرتعي العشب مع السوائم البريه
ويشرب الماء واياها من الغدران
رهبتـه ، رهبتـه
لم أجترىء على الدنو منـه
اذهلني مرآه
فارتجفت يدي وقلت : آه
وجدتـه قد ملأ الحفـائر
كل الذي هيأت من حفائر
ومزق الحبائل
كل الذي نصبت من حبائل
واطلقت يداه ما قنصت من حيوان
فافلت الصيد ووحش البر
حرمت صيد البر
فيا لخسري
ففتح الجبار قلقامش فاه وقال :
انطلق الساعة يا صيادي
واصحب بغيـا
فان اتى الماء ليورد السوام
تخلع عنها ثوبها وتبدي
من جسمها المفاتن العظام
فان رأتها عينـه
اقبل نحوها بلهفة ووجد
فانها تخلبه وتجذبه
وعندها تنكره لداته من حيوان البر
فانطلق الصياد بعد الشكر والسلام
واصطحب البغيـا
وقال : هيا ، هيا
الـخ ...

الدار البيضاء — **عبد الحق فاضل**